بحث قرآني: قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

أساس النظام الإسلاميّ مبنيّ على طاعة الله عزّوجل: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» ولطاعة الله تعالى مراتب عدة: الأولى الطاعة المصداقية. في أحوال ومصاديق معينة يقول الله تعالى: افعلوا هذا؛ يقول مثلاً: أقيموا الصلاة، هذا أحد أنماط الطاعة أن يطيع الإنسان الأمر الإلهي وينتهي بالنهي الإلهي. والأهم من هذه أن يطيع الناس المنهج والطريق والمشروع الذي يرسمه الله تعالى للحياة لكي تتحقق هذه الخطّة. وهذه الخطّة لا تحصل بالأعمال الفردية، إنها قضية أعلى وأسمى وتحتاج إلى عمل جماعي حتى يتحقّق المشروع الإلهيّ والهندسة الإلهية بخصوص وضع المجتمع الإسلامي.

مجموعة من الدروس القرآنية للإمام الخامنئي التي فسّرها سماحته وشرحها ضمن خطاباته.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

سورة النّور المباركة ﴿٥٤﴾

الاعتقاد باﷲ عزّ وجل لا يتحقّق دون الاعتقاد بالرّسول الأكرم (ص)

لقد أمرنا اﷲ عزّوجل نحن المسلمين أن نتّبع الرّسول الأكرم (ص). وهذه التبعيّة تتعلّق بجميع شؤون الحياة. وذلك العظيم، ليس أسوة وقدوة في كلامه فقط، بل أيضاً في سلوكه ونمط عيشه، وكيفيّة معاشرته للعائلة والناس، وكيفية معاملته للأصدقاء، وكيفية معاملته للأعداء والأجانب وكيفية معاملته للضعفاء والأقوياء، هو أسوة وقدوة في كلّ شيء. والمجتمع الإسلامي يصبح مجتمعاً إسلاميّاً كاملاً بالمعنى الحقيقي للكلمة عندما يطابق بين سلوكه وسلوك الرسول الأكرم (ص).(١)

قد يؤمن أحدهم باﷲ عزّوجل، دون أن يؤمن بالوحي، لكن هذا ليس كافياً، لذلك تمّت الإشارة في القرآن في حالات عديدة إلى إطاعة الرّسول الأكرم (ص) بعد طاعة اﷲ عزّ وجل: «اطيعوااﷲ و اطيعوا الرسول» (٢) بينما قد تقولون أنتم أتباع الرّسول (ص): من الواضح أنّني أطعت الرّسول الأكرم (ص) عندما أطيع اﷲ عزّ وجل. نعم أنتم كذلك، لأنّكم تعتقدون بالنّبي (ص) -أي بالوحي-، لكن ذاك الذي لا يعتقد بالوحي فسوف لن يطيع رسول اﷲ.

كيف تتحقّق طاعة اﷲ عزّ وجلّ؟ هناك مئة احتمال وتصوّر باطل؛ ولو كان أحدهم معتقداً باﷲ عزّ وجل -أي كان عقله خاضعاً أمام حقيقة وجود اﷲ- فلن يُخدع وسوف يعجز عن إنكار وجود اﷲ. هب إنّ هذه الخلقة وهذا النظام الكوني المدهش والمعقّد جاء دون قدرة خالق ومهندس له؟ حسناً، عندما يؤمن باﷲ عزّ وجل، ولم يؤمن بالوحي وأنّ اﷲ سيجعل بينه وبين البشر صلة وصل، سوف يظنّ حينها كلّ ما يخطر على باله وحياً إلهيّاً وحكماً إلهيّاً! بينما ليس الأمر دائماً على هذا النّحو بأن يخطو عقل الإنسان في جادّة الصواب، بل قد يخطئ في أحيانٍ كثيرة أيضاً. والعقل يحتاج إلى مرشدٍ ومن يرشده ويعلّمه كي يحدّد كيفيّة الفهم وكيفيّة الرؤية والتمييز بين الحقّ والحقيقة والباطل.(٣)

مستويات الطاعة الإلهيّة

الف) الطّاعة في شؤون الحياة الفرديّة

أساس النظام الإسلاميّ مبنيّ على طاعة ا عزّوجل: «أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرّسُولَ»، «إِن كُنتُمْ تُحِبّونَ اللّهَ فَاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ». (٤)

أساس النظام الإسلامي هو إطاعة ا تعالى. ولطاعة ا تعالى مراتب عدة: الأولى الطاعة المصداقية. في أحوال ومصاديق معينة يقول ا تعالى: افعلوا هذا - حتى لو كان هذا الفعل فعلاً شخصياً - يقول مثلاً: أقيموا الصلاة، أو صوموا، أو زكوا، أو سائر الأمور. هذا أحد أنماط الطاعة أن يطيع الإنسان الأمر الإلهي وينتهي بالنهي الإلهي.

ب) إطاعة وتنفيذ المشروع الإلهي للحياة الاجتماعيّة

والأهم من هذه الطاعة هي الطاعة المنهجية ومعناها أن يطيع الناس المنهج والطريق والمشروع الذي يرسمه ا تعالى للحياة. لكي تتحقق هذه الخطّة. هذه الخطّة لا تحصل بالأعمال الفردية، إنما هي حالة أخرى وقضية أخرى. إنها قضية أعلى وأسمى وتحتاج إلى عمل جماعي حتى يتحقّق المشروع الإلهيّ والهندسة الإلهية بخصوص وضع المجتمع الإسلامي. من باب الفرض، كان المسلمون في مكة يؤدّون أعمالهم، لكن المجتمع الإسلامي في مكة يختلف عنه في المدينة حيث تأسست هناك حكومة إسلامية. لقد ظهرت هناك إنجازات جديدة وحركة أرقى من الحركات الفردية وهي حركة ضرورية لو تحققت «لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم»؛ (٥).(٦)

تأثير النظام الإسلامي على الأعمال الفرديّة

النظام الإسلامي يمنح البشر السعادة. والنظام الإسلامي هو النظام المبنيّ على الهندسة الإلهية للمجتمع وعلى الخطة التي رسمها الخالق للمجتمع. إذا تحققت هذه الخطة لأمكن غض الطرف عن كثير من المخالفات وحالات الزيغ والزلل الفردية والشخصية والجزئية. ثمة رواية تروي حديثاً قدسياً يقول:«لأعذّبنّ كل رعية أطاعت إماماً جائراً ليس من ا ولو كانت الرعية في أعمالها برّة تقية». و في المقابل: «لأعفونّ عن كلّ رعية أطاعت إماماً عادلاً من ا وإن كانت الرعية في أعمالها ظالمة مسيئة».(٧) بمعنى أن العمل الفردي والإساءة أو المخالفة الفردية في النظام الاجتماعي الكبير السائر عموماً بالاتجاه الصحيح، يمكن التجاوز عنها وغض النظر عنها، أو هي بتعبير أدق ممكنة الإصلاح والتصحيح، أي إن المجتمع سيستطيع على كل حال الأخذ بأيدي هؤلاء الأفراد إلى الغاية المطلوبة. وذلك خلافاً لما لو كانت الأعمال الفردية صحيحة لكن العلاقات والنظم الاجتماعية خاطئة جائرة غير مشرّعة من قبل ا تعالى، بل مملاة من قبل الشيطان والنفس وأهوائها، عندئذ لن تستطيع الأعمال الفردية الأخذ بيد ذلك المجتمع إلى الغاية المنشودة وما تريده الشرائع الإلهية من سعادة للبشرية. إذن، قضية الطاعة العامة وأن ينشد الإنسان المنهج الإلهي فيجده ويسير عليه، قضية على جانب كبير من الأهمية. يقوم النّظام الإسلامي على أساس التوحيد. (٨)

---

1) كلمته في خطبتي صلاة الجمعة ٢٧/٩/١٩٩١

2) سورة النّور؛ الآية ٥٤

3) كلمته في جلسة تفسير سورة البقرة ٢٣/١٠/١٩٩١

4) سورة آل عمران؛ الآية ٣١

5) سورة المائدة؛ الآية ٦٦

6) كلمته في لقاء مع أعضاء مجلس خبراء القيادة ٢٥/٢/٢٠١٠

7) الكافي، ثقة الإسلام الكليني، ج١، ص٣٧٦

8) كلمته في لقاء مع أعضاء مجلس خبراء القيادة ٢٥/٢/٢٠١٠